القصص

من أساطير الاغريق

ثيذيوس يقتل المينوطور

ومخلص أثينا

لعب يثير حرباً

للأستاذ دريني خشبة

كان الملك إيجوس ، ملك أثينا ، في شرخ صباه وعنفوان شبابه زير نساء وأخا شهوات ؛ وكان ذا نزوات تكاد تسمى به إلى حتفه . . . بظلفه . . .

ذهب مرة يجوب ريف مملكته ، فلمح وجهاً مشرقاً ينبثق من كوة كوخ في إحدى القرى ، تتراقص حول ثغره الصغير بسمات هن رسل الحب ، وتنطلق من عينيه النجلاوين نفثاتٌ تَسْحَرُ ذا اللب . . . حتى لا حراك به . . .

وطرق الباب يستسق ، وما به ظمأ ، فامتدت اليه ذراعٌ عاجيةٌ لَدْنة ، تحمل كوباً من البلور مُفْعَماً برحيق الحب ، وإن لم يَحْوِ غير الماء القراح !

وتناول الكوب ولبث لحظةً يشرب ما به بعينيه ، دون أن يمتد فمه اليه ، ثم أرسل زفرةً دفعت الباب فانفتح على مصراعيه ، ودخل غير مستأذنٍ ، فروّى فمه ، وبرّد قلبه ، وبَلّ جاحم الحب الذي زلزل أركانه

ثم تزوجها ، ومكث عندها شهراً كان عَسَلاً كله !

ووصل إلى قاعدة الملك ، وأم القرى ، أثينا ، بعد أن ترك وَصاتَهُ المكتوبة الآتية : « في الغرفة التي ضمتنا لأول مرة نلتذ الحياة وننعم بطيب العيش ؛ هنا ؛ في هذا المنزل الصغير الذي اتسع لدنيا من الآمال والأحلام ؛ وتحت الحجر الكبير المُلَوّن ، حيث كانت قدماي تحيّيان في سَكْرةِ الهوى قدميك ؛ قد استودعت نَسْلي اللتين حملتاني اليك ، وسيفي الذي فَرّيت به رؤوس الأعداء حتى سعدت بك ؛ فاذا وضعتِه غلاماً فسميه ثيذيوس ، وَنَشّئيه وطَرّئيه حتى يصلب عوده ، ويشتد ساعده ، فحذيه إلى الحجر فلير فمه ، وليلبسْ نعلي وليمتشقْ سيفي ، ثم ليمض إلى أثينا ، لا حافظ له إلا قلبه ، ولا حارس إلا سيفه ، فاذا شاءت العناية فانه يحول زيوس العظيم ولي عهدي ، وصاحب التاج من بعدي . »

وتتابعت السنون

وكانت أثينا تُزهى كل سنةٍ بعيدها الرياضي الفخم ؛ فتلبس حلةً من البهجة والايناس ، وتؤمها وفود الأقاليم المجاورة تتفرج بالألعاب الجميلة ، وقد تشترك فيها

وكان لينوس ملك كريت[1] ، ابن مفتول العضل قوي البنية حبيب الطلعة ، كان يقدم إلى أثينا إبان عيدها الرياضي ليباري

قال : « أرجوكم ، أتوسل اليكم أن تعيروا شيئاً من اهتمامكم هذه البيوتَ التي أُسْميتْ معامل عمداً وقصداً . طالبوا بزيادتها . طالبوا بتكميل ما نقص منها . إنها معابد المد . ومنها ستخرج لكم أسباب الرفاهية وأسباب الغنى » . لقد سبق بستور زمانه بنصف قرن ، وكان كالنبي الذي يعرف من أين تؤكل الكتف ، فنصب لقومه مُثُلاً للكمال عظيمة ، ولكنه لم ينس أن يذكرهم بما سيكون لهم كذلك من متع مادية دون تلك المُثُل عظماً ، لم يكن بستور بحاثا كبيراً فحسب ، بل كان خبيراً بأمور دنياه خبرة فائقة

(يتبع)

أحمد زكي

(١) كريت أو كريد هي جزيرة إقريطش وقد آثرنا التسمية الأولى لسهولتها وذيوعها

أبطالها، ثم يعود مشمولاً بحب الأثينيين وإعجابهم الشديد، ولقد كان يحدث ألا يكون للموسم بهجته المعتادة إذا تخلّف ابن مينوس فلم يحضر إلى أثينا

ومن غريب المصادفات أن يولد ابن ملك كريت هذا في نفس اليوم الذي تضع فيه القروية الحسناء الغلام ثيذيوس ابن ملك أثينا

ومن غريب المصادفات أيضاً أن ينشأ ثيذيوس هذه النشأة الرياضية التي نشأها ابن مينوس، والتي كانت أماراتها تبهر الأثينيين وتخلب ألبابهم في موسمهم الرياضي

ولم يكن الأثينيون يعلمون أن للكهم ولداً، هو إن لم يبرز على ابن مينوس في الألعاب الرياضية، فانه لا يقل عنه شأناً فيها. ولم يكن الملك نفسه يعلم عن ولده شيئاً، ولو قد علم عنه شيئاً لما سوّلت له نفسه الأثيمة أن يدبر غيلة ابن مينوس في حلك الليل، وفي طريقه المقفرة إلى المرفأ، حين آب بأكثر جوائز الموسم الرياضي، في المصارعة والملاكمة والعدو ورمي القرص ..!

لقد أكلت الغيرة العمياء قلب الملك الجبان، وتلظّى فؤاده بحقد أسود حجب بصيرته، فأرسل عصابة من اللصوص وقطاع الطرق والسفاكين، ذبحوا الشاب المسكين، ونبذوا جثته بالعراء، تنوشها الوحوش وسباع الطير!

واهتزت أثينا المضيافة، أثينا أم القرى، لهول الجريمة، ونقموا على القتلة الأشرار اعتداءهم الشنيع على ضيفهم المحبوب؛ وكادت تندلع ألسن الثورة حين استفاضت الأشاعات وراجت سوق الأقاويل، لولا أن وصل في صبيحة ليلة الجريمة، البطل الصغير ثيذيوس ولي العهد فجأة، ومن غير سابق علم، ولا ترقّب، ولا انتظار!

« ثيذيوس! ومن يكون ثيذيوس هذا؟!

« ولي عهد المملكة، ورجاؤها، ومعقد آمالها

« وأين كان الشاب؟ وابن من؟ ومتى ولد؟

« كان يُنشّأ في الريف، وهو ابن حسناء من أميرات الأقاليم وولد منذ عشرين

ولم لم تعلم به أثينا من قبل؟

« أراد الملك أن يفاجيء شعبه بهذا الخبر السار، لولا اغتيال ابن مينوس؟!

« وهل هو حقاً أشجع من ابن مينوس؟

« ومن يكون ابن مينوس، وألف بطل كابن مينوس إلى ولي عهدنا ثيذيوس؟ وهكذا راحت الجماهير يتحدث بعضها الى بعض حديث ثيذيوس

أما كيف وصل هذا الأمير الصغير، فان أمه لما آنست فيه القوة واكتمال البنية، ولما رأت من تدفق ماء الشباب في وجناته، وسريان كهرباء الحياة في عضلاته، قادته الى الحجرة التي لقيت فيها لأول مرة أباه، ثم ناولته الخطاب المكنون الذي يحمل وصاة الملك. وما قرأ الفتى ما جاء بالخطاب حتى تأكدت له الأماني العذاب التي كانت أمه تهتف له بها، فتقدم الى الصخرة فرفعها بأقل جهد، ثم حمل السيف فقبّله، ووضعه هنيهة على رأسه، ثم على عينيه، ثم على قلبه، كأنه يطبع به ختم المحبة الأبوية على أعز جوارحه!

وربط النعلين العزيزتين على قدميه، وانهال على خدّي أمه ويديها يقبل هذين ويلثم هاتين، وودعها، وتزود من نصائحها، وانطلق ميمما شطر أثينا

وكانت الطريق الى العاصمة صعبة شائكة محفوفة بالمكاره، ككل طريق تؤدي الى جنة أو نعيم! فاللصوص وقطاع الطرق والسفاكون يأخذونها من كل حدب، والسباع الضواري تعج في جنباتها، والغيلان والأبالسة تهمهم في جميع منعطفاتها... ولكن هذا كله لم يثن من عزم ثيذيوس؛ فلقد قتل كل من تعرض له من لصوص هذه البرية المرعبة، وفرى رؤوس سباعها، حتى لقد فر الكثيرون أمامه يذيعون نبأ مقدمه في أثينا. فما وصل إليها حتى كان صيته قد سبقه وشاع فيها. وما إن تقدم الى أبيه الملك حتى عرفه، ونزل من فوق العرش فعانقه وقبله، ثم عاد فاجلسه بجانبه، وألقى اليه بأذنيه يصغي الى قصة حياته، ومجازفته في الطريق التي تكتنفها الأهوال الى أثينا!

وأعلن السرور العام في المدينة، وطفقت النواقيس تدق في الهياكل، وأطلق سراح المجرمين من جميع السجون، وجعل

الناس يتندرون بشجاعة ولى العهد وقصته العجيبة ، حتى لأنساهم ذلك هول المأساة الدامية التى روعتهم وزلزلت قلوبهم

* * *

وانتظر مينوس أوبة ابنه ، بيد أنه قلق لانقطاع أخباره ، وساورته الظنون من أجله ، وحسب أن ريحاً عاصفاً ثارت بمركبه فى البحر الايكارى [1] فأغرقته ، لولا أن أحد التجار الكريديين عثر بجثة القتيل فاحتملها الى الملك ، الذى تصدع قلبه من الأسى !

ولا تسل عما انتاب مينوس من الحزن ، وما شمل كريد من الهم ، حتى لم تبق فيها عين لم تذرف ماءها على ولى العهد !

واتصل بالملك ما كان من فعلة إيجوس ملك أثينا ، فاستيقظ الناس صبيحة اليوم التالى على صيحة الحرب ، تدوى فى غبشة الفجر فتقض المضاجع ، وترن فى الآذان وتتجاوب لها حيات القلوب ! وما تطلع الشمس حتى تكون البطاح مائجة بجنود كريد البواسل ، هائجة بالمتحمسين من الشبان والشيب ، هرعوا جميعاً فدى للملك ، وريّا لمجد الوطن ، وإثـئاراً لولى العهد !

وترامت الأخبار الى أثينا ، فاعتكرت أفراح البلاد ، وسكن ضجيج الشعب ، وسارع الجميع يستعدون للقاء العدو ، فها هى القلاع قد سهر عليها حراسها ، والسبل منبثة فيها الجنود شاكى السلاح ، والمرافىء تعج بالسفائن الحربية ، وكل رجل فى المملكة قد اضطلع بنصيبه فى الذود عن بيضة الوطن !

وأقلع مينوس بأسطوله اللجب ، وعسكره المجـر ، وفرسانه المديدين ، مزودين بميرة ليس كمثلها ميرة ، وذخيرة يا لها من ذخيرة . . . ومخر الأسطول لا تحول بينه وبين مطمحه عقبة ، ولا يقف من دونه مُحَـقّق ولا مجنون

ووصل الأسطول الى أثينا ، غادة هيلاس ، وهدية الآلهة الى ڤينوس ، وعروس الأحلام الجميلة ؛ فوجد الأسوار مخفورة ، والبوابات مغلقة ، والناس داخل المدينة مستعدين للدفاع عنها ، فألقت الفلك مراسيها . واندفع الكريديون يحتلون السهل الواسع المحيط بالمدينة حتى ملأوه ، وحتى لا ترى إلا خياماً تصل أقصى الشمال بأقصى الجنوب ، وتربط أول الشرق بآخر الغرب . . . جنود وضوضاء . . . وصهيل ورُغاء . . . وعسكر كالجراد المنتشر لا تبلغ آخره عين ، ولا يذهب الى آخره خيال !

وصابر مينوس يحاصر المدينة أياماً طوالاً حتى قلت الأقوات داخلها ، وأخذ أهلها يشكون الجوع والجهد ، وزاد فى شدتهم أن نضب الماء ، فعم البلاء

ولم يكن أمام الأثينيين إلا إحدى اثنتين : إما الموت داخل الأسوار صبراً وهذا ما لن يكون ، وإما الخروج للقاء المحاصرين ومناضلتهم ، وذلك مالا طاقة لهم به ، ولا قدرة لهم عليه

أمران أحلاهما مر ، وأخفهما فيه الويل ، وعقباه الدمار والبوار ! وأجمع بعض عقلائهم على أن يذهبوا الى ملكهم يرجونه أن يذهب الى الهيكل فيقدم القرابين الى الآلهة حتى تأتيهم نبوءة السماء ووحى الأولمب بما ينبغى أن يكون . . . ولكن الملك أبى واستكبر ، ثم قبل بعد إلحاح أعيان القوم أن ينوب عنه فى هذا الشأن أحدهم

وقصد قائم مقام الملك إلى هيكل ڤينوس فتقرب بالضحايا وعقر القرابين ، وقبل الأرض بين يدى تمثالها المنتصب فوق المذبح ، ولبث غير قليل . . .

وخشعت الأبصار وسكنت القلوب ، وساد المعبد وجوم عجيب . . .

ثم انبعث الصوت القدسى الضعيف من خلوة الكاهن يقول :

« ليفعل الأثينيون ما يأمرهم به مينوس ملك كريت . . . الويل لهم إن حاربوا ؟ ! »

وهلمت الأفئدة . . . وطاشت الأحلام ! !

وتلقاها الملك كما يتلقى الانسان حكماً عليه بالاعدام . . . ولكن ما العمل ؟ ولا حيلة لبنى الموتى فى دفع أحكام القضاء ؟

وأرسل إيجوس إلى ملك كريد يعرض عليه الصلح ، ويسأله عن شروطه . . . فقال مينوس لرسل الملك : « قولوا لايجوس ، الآن عرفت كيف طعنت فؤاد مينوس تلك الطعنة النجلاء بقتلك ابنه وولى عهده . . . ولقد جئتك نطلب ثمن هذه الفعلة الشنعاء ، ولن تكفينا أثينا كلها ثمناً لها ! أما وقد ذلت ، فحسبنا أن نرجع بسبعة من خير شبابكم وأجمل فتياتكم ، وسبع من أبكار

(١) نسبة الى إيكاروس (أسطورة العدد السابق)

الأثينيات وأبهى حسانها ، ليكون الجميع غذاء حلالاً للمينوطور ، وعلى أن ترسلوا كل عام فى مثل هذا الزمن أربعة عشر آخرين من خيرة شباب أثينا وأكرمهم حسباً

إن رضى الملك وسلّم فدية هـذا العام رحلنا عنكم إلى العام المقبل . . . »

وسكت الملك ، وتحدرت من عينيه دموع غلاظ ، وثار فى قلبه هم قديم . . .

طلب مرعب ينم عن قسوة وغلظة ! غير أن قتل ابن مينوس غيلة ، فى رحاب أثينا ، وفى دجنة الليل ، وبتدبير الملك ، كل ذلك يبرر الغرامة الوحشية التى فرضها ملك كريت !

وكاد إيجوس يرفض هذا الهوان الذى طلب اليه أن يؤديه عن يدٍ وهو صاغر ، ولكن الشعب هاج هائجه ، وضج الرعاع يطلبون الخبز ، أو تسليم المدينة ، أو . . . دم الملك ! !

فذل إيجوس المسكين وصغر ، وقبل شروط مينوس مرغماً ، واختير من شباب المدينة سبع كواعب أتراب ، وسبعة فتيان فى ريعان الصبى ، وشيّع هؤلاء وهؤلاء إلى الأسوار بين بكاء الأمهات وعويل الآباء وآلام المحبين !

وهرع الكريديون إلى خيامهم فاقتلعوها ، وإلى شراعهم فنشروها ، وأقلعوا فى الصباح الباكر بعد أن ألقوا على كبرياء إيجوس هذا الدرس المهول !

* * *

ومضت سنون وأثينا العظيمة تؤدى الفدية عن يد وهى ضارعة ، حتى ثارت كبرياء ثيذيوس وفارت نخوته ، وتقدم إلى أبيه الملك الشيخ ، حين دعا النفير العام لتقديم الفدية ، يقترح عليه أن يكون هو الفداء الرابع عشر من شباب هذا العام : « على الأقل يا أبى يكون فى هذا بعض العزاء للأثينيين ، وليشفوا أننا لا نذلهم ، وأننا منهم وهم منا ، وأننا آخر الأمر ، نشرب الكأس التى يشربون ! »

وصمق الوالد حين تقدم إليه ولى عهده بهذا الطلب ، ورفض رفضاً باتاً . . ويغلى الدم فى رأس البطل الشاب ، فيقول للملك : « إذن فأنا أحطم كأس الحياة التى أُقعمت مذلة وهوانا ، وسأريق مع سمها الأسود هـذا الدم الأرجوانى الذى لا أستحقه ، ولا أشرف به . . . أبتاه ! لن تتحرك السفينة الحزينة حاملة ضحايا قسوتنا واستبدادنا حتى أحييها بحياتى ، وأرويها بدمى ، ليكون قرباناً لمن عليها من عشيرتى ولِذاتى . . . »

وقبل أن يفصل البطل الشاب ، ناداه والده باكياً ، ونهض فباركه ، وقبل ، والهم يمزق أحشاءه ، أن يكون بين الضحايا . .

وفى الحق إن ثيذيوس لم يكن يعرض نفسه للتهلكة ، ولكنه كان واثقاً من شجاعته ، مؤمناً بماوهبته الآلهة من جَلَد وبأس ، وقلب لا يفله إلا الحديد ، لأنه من حديد . ولقد صمم أن ينازل هـذا المينوطور الخبيث ، فاما قتله وعاد مرفوع الرأس ، موفور الكرامة ، ليعيش فى وطنه منقذاً لأثينا ، وإما قضى القضاء أمره فيه ، وليس هو بأعز ممن راحوا ضحية هذا الوحش المخيف !

وقال لأبيه وهو يودعه ، حينما ركب المركب السوداء التى يرفرف عليها علم الموت « أبى ! لا تبكِ ! إنك ملك ، ودموع الملوك لا تذرف إلا فى سبيل الوطن ! إننى ذاهب إلى معركة أرجو أن يكتب لى النصر فيها ! لقد كنت أتغلب على عشرات من أمثال هذا الوحش ولما أكن بعد إلا طفلاً . . . ادع لى أن أفوز به ، فأريح أثينا العزيزة من شره »

وأقلعت السفينة تحمل هذه الفلذات الغالية من أبناء البلاد ، وبخرت فى بحر تلاطمت أمواجه ، وزخرت أثباجه ، واشمخر أنفه ، وانتفخت أوداجه ، حتى وصلت إلى كنسوس حاضرة كريت . وهرع الناس من كل فج يستقبلون ضحايا المينوطور ، وفى وجه كل منهم عبوسة حزن ، وملء قلوبهم ثورات مكبوتة من الأسى ، على هذا الشباب الناضر الذى أقبل إلى الموت من قرار بعيد !

وكانت فى الجماهير فتاة غضة الأهاب ، بضة الشباب ، حلوة ناعمة ، نهضت فى مركبتها لمشاهدة الضحايا الأثينيين ، وما كادت عينها تصيب نظرة من ثيذيوس ، حتى أحست فى أعماقها بنفحة السماء التى تسبق لفحة الحب ! !

« ترى من يكون هذا الشاب الأنيق والفتى الرقيق ؟

« إنه يُقبل فى غير وجل ، ويقتحم الجماهير فى غير هيبة ! أعَبَر بحار الموت قبل هذا ؟

« لا شك يا فتاة أنه أمير إن لم يكن ابن ملك !

« إن الحمرة التي تطير من الورد إذا قُطف ، ما تفارق خَدَّيه ، وهو مُقْدم على الردى ! !

« إن صفرة الموت تستحي أن تموه هذه الوجنات ! ؟ . . .

« أمن السماء هذه الزرقة التي تملأ عينيه ؟ . . .

« بل مثله لم يخلق إلا ليكون زهرة هذه الحياة الدنيا . . .

« أيها الشاب . . . لن تموت !

وهكذا جعلت تتحدث تلك الفادة . . . الأميرة الجميلة بنت مينوس . . . ! !

وكأنما قرأت وصيفتها الأمينة ما دهى سيدتها من حب الفتى في كتاب عَيْنَيها ، فقالت : « أتحس سيدتي بتعب ؟

« لا يافتاة . . ولكن انظري الى هذا الفتى المتفتح كالزهرة !

« والله ياسيدتي إنه جدير بعطفك ، خليق برحمتك . . .

« وما العمل يافتاة وليس لنا في إنقاذه يدان !

« هوِّني عليك يامولاتي ! إنه وايم الله من سلالة الملوك ، إن لم يكن ابن مليك ! وهو بادي الشجاعة ظاهر الفتوة ! وإن له لسيفاً طويل النجاد ما حمل أحد مثله ، ولم أعهد قط أن من ضحايا المينوطور من جاء بذي غرارين من شنه . . . فلم لا ندبِّر معه قتل المينوطور ! ؟ . . . »

« قتل المينوطور ؟ إنك تهرفين ! ومن يجسر أن يدخل والمينوطور في معترك ؟

« لا عليك ؟ نرشو السجان فيفلت الشاب في ظلام الليل ، ونهديه إلى باب اللابيرنث[1] فينطلق إلى الوحش الغاط في نومه العميق فيجذ رأسه بهذا الجراز الذي ترين ! »

« ياله من تدبير ! ولكن كيف يعود الشاب وأنت تعرفين من متعرجات اللابيرنث وشعابه ماتعرفين ؟ . . . »

« لا أسهل من هذا أيضاً ! خيط طويل من أمراس الكتان يمسك هو بطرفه الأول ، ونمسك نحن بطرفه الآخر ، يهديه في الأولى ويرشِّده في الثانية ! ! »

وطربت بنت منيوس لتدبير وصيفتها ، فمنحتها قبلةً شهية وخلعت عليها جائزة سنية . . . وانطلقتا ترقِّبان السماء !

وعرف ثيذيوس أنها ابنة الملك فاستُطير من الفرح ؛ وعرفت أنه ابن ايجوس ؛ فكبر رجاؤها وتلألأت آمالها . . .

وقتل المينوطور ؛ وفك اسار رفاقه ورفيقاته ، وأقلعت بهم الفلك ؛ حاملة جوهرة جديدة غالية : هي ابنة مينوس . . . .

وربيبة كريد

أما الملك !

فقد صبر ! وأرضاه أن يحضر ايجوس فيعتذر له ويصالحه !..

وهكذا حسم الحب هذا الخصام الطويل

دريني خشبة

(١) اللابيرنث هو الذي بناه ديدالوس للمينوطور ، وقد حدثناك عنه في العدد السابق

وكلاء الرســـالة

ومتعهدوها في الخـارج

السيد احمد بن أبي بكر	: الجزائر
أبناء ابراهيم المشيرق	: طرابلس الغرب
السيد محمد الكامل القصار	: دمشق
شركة فرج الله	: بيروت وحلب
السيد عبد السلام السباعي	: حمص
السيد فوزي يوسف	: القدس
السيد هاشم بن السيد علي نحاس	: مكة
السيد عامر الدواس	: تونس
السيد عبد العزيز أبو طالب	: فاس
السيد محمد القباج والسيد المهدي الزبدي	: الرباط
السيد علي عمر قدور	: صفاقس
محمود حلمي	: بغداد والبصرة والموصل
الخواجه زكي جرجس بطليموس	: الخرطوم
الشيخ حسن عثمان بدري والشيخ حسن البصري	: أم درمان
ابراهيم علي مرزوق	: بور سودان
كامل ميخائيل غالي	: واد مدني
صالح محمود اسماعيل	: وادي حلفا
الطيب الدويح	: كسلا